

## الفصل الثالث طبيعة المرحلة ونوعية الأدب

من الأهمية بمكان ، أن نعرف طبيعة وملامح وسمات المرحلة التي يمر بها الطفل فمعرفة تلك المرحلة تمدنا بخريطة واضحة المعالم، علي أساسها نعرف طريقنا ومعالم هذا الطريق...وبذلك نستطيع أن نكتب نوعية من الأدب تتناسب وتتلائم وطبيعة تلك المرحلة فليس كل مكتوب أو أي مكتوب يصلح أن يكون أدبا للطفل.فكما أن هناك نوعيات خاصة من الطعام يجب أن تقدم للطفل تتناسب وجهازه الهضمي كذلك لابد أن يكون هناك نوعية خاصة من المقروء يتناسب وتفكيره ومشاعره ،والا سنجد الطفل يعرض ويبتعد عما تقدمه من أدب كما يعرض عن نوع من الطعام لا يجد في نفسه هوي أن يقترب منه.كذلك إذا أخطأنا في تقديم نوعية الأدب الذي يتناسب والطفل فقد يحدث عكس ما نرجوه فالخطأ في التشخيص يترتب عليه خطأ في وصف الدواء والذي يأتي بدوره بنتيجة غير محموده .لذلك فمن الواجب أن نعرف كل كبيرة أو صغيرة بما تتميز به تلك المرحلة لنقدم للطفل ما يناسبه..ويمكن أن نوجز بعض تلك الملامح فيما يلي:

### سرعة تأثير الطفل:

التلقائية والعفوية هما الغالبان علي ردود أفعال الطفل فالطفل لا يعرض تصرفات من حوله أو تصرفاته علي عقله وهو ليس مترثنا أو متأنيا فيما يتأثر به أو بما يفعله وقابليته للتأثر بلا حدود وهو ليس لديه من المعايير ما يميز به بين

الخطأ والصواب أو ما يجب أن يتأثر به ولا يتأثر به لذا فيجب أن نقدم له الوجه المشرق من الحياة الإنسانية وما فيها من خير وعدل وجمال والفضائل والقيم والهادئ ونعد بقدر الإمكان أن نقدم له أي شيء يناقض ذلك فهو لا يدري لم يتأثر بهذا ولا يتأثر بذلك المرجع والإطار القيمي عنده لم يتبلور بعد " فإن الطفل يحاكي من تلقاء نفسه كل ما قرأه ودرسه وما سمعه وما رآه من غير تفكير فيجب ألا يقرأ إلا أحسن الكتب والطبعات ولا يسمع إلا خير الكلام ولا يري إلا أحسن المتل العليا فلكل هذه الأشياء أثر كبير في الطفل وتربيته وأن معرفة طبائع الطفل تساعد في معرفة المادة التي تناسبه ويسهل علي المربي الذي يعرف تلاميذه بمعرفة مراحم العصبي وأحلاقم الشخصية وعيوبهم المنية وعاهاتهم العقلية فيضع كل طفل موضعه ويختار له من الماد ما يلائمه "

### محدودية الإدراك:

لا يستطيع أن نقول أن الطفل لا يفكر فهو يفكر كأي إنسان ناضج ولكن تفكيره حسي فهو لا يدرك التجريد . فمثلا حينما نريد أن نعلمه عملية الجمع لا نقول له ١+١=٢ لأن رقم ( ١ ) فيه تجريد وهو لا يدرك معي رقم واحد لكي نقرب له هذا الأمر نقول له نفاحة + نفاحة ، فهو يدرك ويعرف النفاحة بشكلها المستدير ولونها الأحمر ورائحتها وطعمها الشهي . يدرك الأشياء التي يستطيع أن يلمسها بيدد ينصرها بعينه يتذوقها بلسانه فهو لم يتخط مرحلة الواقع إلي ما وراء الواقع جريئات العالم الواقعي تتغلغله وتمثل له ألغاز وطلاسم وهو يبدل مجهودا حنارا كي يفهم ماحوله وهو يقترب كثيرا من مامن شأنه أن يفهمه ويعرج له ويشرح هذا

١. الاتجاهات الحديثة في التربية - محمد عطية الإبراشي ( ٢٦٦ )

الواقع الذي يمثل له تحدياً لرغبتة في الفهم فيجب أن يتمحور الأدب الذي نقدمه له حول تلك النقطة . أن يكون الأدب واقعياً حسياً ، موضوعاته هي الموضوعات المحاطة بالطفل ما يراه ما يسمعه ما يحسه وبهذا يجد في المادة المقرؤة معادل موضوعي للواقع ، وكان الأدب هو درجة أخري من درجات الواقع الذي يعيشه فيشعر أن هناك علاقة وثيقة تربطه بهذا الأدب وعلي هذا يجب أن نبتعد ونحن نكتب له عن المجردات والمعنويات والقيم والفضائل وإذا أردنا أن نحدثه عن تلك الأمور فمن خلال تلك الأمور مجسدة في أشخاص فلا نحدثه مثلاً عن الصدق وأهميته وإنما نحدثه عن الشخص الصادق ومدى حب الناس له واحترامهم له وكذلك الأمانة فلا نسهب في الحديث عنها فهو لا يفهم هذا المعنى المجرد وإن فهم فهو فهم ناقص مبتور وإنما نحدثه ونكتب عن الشخص الأمين وكذلك العمل والوفاء والإخلاص . ونستطيع أن نقرب له الأشياء التي تعلقو عن فهمه بضرب الأمثلة له "إن الطفل في سني حياته الأولى يفكر علي مستوي حسي فهو لا يدرك المجردات والمعاني الفلسفية ولذا يجب تقريب هذه الأمور له بشكل حسي وربطها بواقعه وحياته فاليوم الآخر من المواضيع البعيدة عن حياة الطفل ولذا يمكن تقريبه لذهن الطفل عن طريق مقارنته بالفحص الذي تجريه المدرسة في نهاية العام "

#### - تعهد الحاجات النفسية:

لكل انسان حاجات نفسية . والإنسان يسعى سعياً حثيثاً لإشباع تلك الحاجات فهو إن لم يشبعها سيشعر بالتوتر والقلق وهو إن أشبعها سيشعر بالراحة والإطمئنان . والعالم الذي يستطيع فيه الإنسان أن يشبع حاجاته

٩ . كيف نربي أبنائنا - معروف زريق - ( ٨٧ )

النفسية، يتسكك به الإنسان ويحبه ولا يرتضي عنه بديلاً، والعالم الذي لا يستطيع الإنسان أن يشبع فيه حاجاته، يكرهه ويحاول أن يتعد عنه بل ويهجره إلى عالم آخر يجد فيه الإشباع.

والإنسان كائن مرن، وهو يلجأ إلى السبل التعويضية كي يشبع تلك الرغبات فهو إن عجز عن أن يشبعها بصورة واقعية لجأ إلى الخيال أو إلى الأدب كي يجد فيه إشباعاً لحاجاته وكل هذا ينطلق أيضاً على الطفل، فحاجات الطفل كثيرة وقد لا تشبع تلك الحاجات إما لجهل من حوله بتلك الحاجات، أو عدم اهتماماتهم ويأتي دور الأدب لكي يقوم بإشباع تلك الحاجات، لذا فيجب على الكاتب أن يعرف تلك الحاجات ويحاول أن يبرزها ويهتم بها في الأدب، لأن حينما يجدها الطفل موحودة في الأدب الذي يقدم لها سوف يشعر بالإشباع والرضي، فبمجرد إحساسه إنها موجودة حتى على صفحات قصة يقرأها أو تحكي له هذا سيحقق له نوعاً من الإشباع " تسيطر على الطفل في سنواته الأولى نوافع فسيولوجية ومع نمو الجهاز الهضمي والذكاء وملاحظة للويط الإجتماعي الذي يعيش فيه تظهر عنده مجموعة من الحاجات النفسية نتيجة أهميتها للشخص ككل واتصاله بالمجتمع الذي يعيش فيه، والحاجات النفسية التي إتفق عليها عدد كبير من العلماء

هي

١. الحاجة النفسية للمحبة والعطف need of affection
٢. الحاجة النفسية للطمأنينة والأمن need of rearity
٣. الحاجة النفسية للحرية الفردية need of freedom
٤. الحاجة النفسية للمعرفة need of cerusity

٥. الحاجة النفسية للتقدير والنجاح need of success

٦. الحاجة النفسية لسلطة ضابطة وموجهه Need of control " ١

### - إدراك العموميات:

التفاصيل والجزئيات الصغيرة لا يدركها الطفل ، فالعموميات والكليات تشغله عن الجزئيات ، وهذا شيء طبيعي فالعقل الإنساني ينتقل في عمله من الكليات إلى الجزئيات والسعي وراء تفاصيل الواقع في حاجة إلى قدرة عقلية واستمرارية في التفكير لا تتوفران للطفل... وعلي هذا ففي أدب الطفل لا يجب أن نهتم بالتفاصيل لأن هذا من شأنه التطويل والإسهاب وهذا من شأنه أن يدخل الملل والسأم على الطفل ومن ثم ينصرف عن القراءة أو التتبع فنكون بذلك قد خسرنا القارئ الرئيسي الذي يدور أدبنا كله حوله " يميل إلى الصور الملونة والقصص الخيالية ويدرك الأشياء ككل فهو يدرك الشجرة في مجموعها لا على أنها مكونة من حدة وجذور وساق وثمار وأزهار. ولما كان الطفل في هذه المرحلة محدود الخبرة فإن قلوبته للإستهواء تكون كبيرة ويطل تفكيره في هذه المرحلة على المستوي الحسي " ٢.

### - دور الخيال وأهميته:

لا أحد ينكر دور الخيال وأهميته في حياة الإنسان ، والخيال له مساحة كبيرة في حياة الإنسان تقل بالتدرج كلما كبر ، ليحل محله العقل والمنطق ومع ذلك لا يستطيع الإنسان أن يستغني عن الخيال . فقدرته على التخيل نعمة تجعل من حياة الإنسان شيئاً محتملاً، فالخيال يخفف من كثافة وغلظة الواقع ، وهو بمثابة ظل ظليل يستريح فيه الإنسان من لفحة الحياة.

١ . لطفلنا والتربية - محمد زكي عوض - ( ٢٩ )

٢ . المصدر السابق ( ٤٨ )

وحياة الطفل كلها خيال فالعقل والمنطق لا مكان له في حياة الطفل، لذا فقد تجده يخاطب الجماد ويشخصه ويضربه ويعاتبه ويصادق الحيوان ويعايشه وهذا يعطينا فكرة عن مفردات العالم كي نكون له عالما يأنس إليه ويألفه. ومن خلال هذا العالم يتسني لنا أن نصوغ شخصية الطفل ونزرع في وجدانه ما نشاء من قيم ونحنه علي أن يستغل مواهبه الفطرية. وإمكاناته التي يكتشفها شيئاً فشيئاً.

فالخيال يروده بقدرة علي أن يجرب ويستكشف ويستنتج ويصل إلي حقائق تتناسب وتفكير عمره " تزداد مفردات الطفل وخبراته كما تزداد القدرة علي التفكير ولكنه يكون خيالياً لا يربط النتائج بأسبابها وهو لا يعرف قيمة شيء أو أهمية إلا بالنسبة إلي شخصه فقط. ويميل الطفل في هذه السن ميلاً شديداً إلي القصص الخيالية التي يعيش فيها الحيوان والجماد حياة إنسانية كما يميل إلي الألعاب القصصية ويسأل الطفل أسئلة كثيرة تبدأ عادة بكلمة (لماذا) ولكنه لا يسأل للبحث عن السبب المنطقي ولكنه يسأل لمجرد الرغبة في الكلام ولهدا لا ينتظر الجواب، وعلينا في هذه الفترة أن نعتمد علي التعليق أكثر ما نعتمد علي الشرح ونوفر له فرص التجريب والكشف واستغلال الخيال والتفكير في المجال العملي محاولين الإعتماد علي طريقة المحاوره وتصحيح الأخطاء " ١

- إحساسه بالقلق والحيرة:

قد يظن طنان أن مرحلة الطفولة كلها سعادة وفرح ولعب وإنها خالية من الهمز وأن الطفل يستمتع بحياته إستمتاعاً لا مثيل له فالطفل - في تطره - لا يحمل أي مسئولية من المسئوليات التي تكدر صفو الحياة، ولكن في الحقيقة أن

١. المصدر السابق - (٤٠)

حياة الطفل ليست كلها سعادة وفرح ولهو ، فله همومه وأحزانه مثل ما للكبير. فلكل منهما له عالمه وكل عالم له همومه ومسئوليته. فكل المواقف التي يصادفها الطفل يواجهها لأول مرة ، ولا يدري كيف سيتصرف حيال تلك المواقف وهو ليس له خبرة أو دراية بها " الطفل كائن حي ضعيف ينمو، وهو إذ ينمو يتخطى الصعوبات والأزمات النفسية ، نجد الطفل منذ نعومة أظفاره يصرخ أحيانا ويبتسم أحيانا، نجد ذهنه يشرد في مشكلاته أحيانا، ونجد ذهنه يتجه بصورة واقعية إلي ما يحيط به ونقول حين يشرد ذهن الطفل إنه غارق في أحلام اليقظة أو أنه يسبح في خيالاته. وننسى ما وراء ذلك كله من نواحي الألم والقلق والخوف وما إلي ذلك "

فمرحلة الطفولة لها منغصاتنا وألامها وأحزانها نعم تلك المنغصات الآلام والأحزان قد تعد نافهة في نظر الكبير ولكننا ننظر إلي الأمور بعين الطفل وليس بعين الكبير وخطورة تلك المرحلة أن ما يتعرض له الطفل من آلام وأحزان قد يترك أثره في وجدان الطفل إلي أن يكبر. وكثيرا من الأمراض النفسية التي يعاني منها الكبار. لو بحثوا عن حقيقتها سيجدون أن جذورها ممتدة إلي مرحلة الطفولة التي مر بها. ولكن مرحلة الطفولة بكل أحداثها وأفراحها وأحزانها وآلامها تعيش داخله. بل قد يكون أغلب تصرفات الإنسان وسلوكه مردود إلي تلك المرحلة. كل ما في الأمر أن تلك المرحلة أصبحت في الظل ، مسدولة عليها الكثير من السدول. ولكنها موجودة تنفس وتعرض تأثيرها وهيمنتها علي المراحل التالية لها . لذا نزي أن الرجل الذي لديه قدرة علي مواجهة المشكلات والمواقف الصعبة تلك القدرة إكتسبها وهو طفل وضمت معه تلك القدرة فكل القدرات التي نكتسبها ونحن أطفال تنمو معنا ويصقلها العمر والتجربة.

لدا فعلي الكاتب الذي يكتب للطفل أن يعرف المواقف الجديدة التي سيصادفها الطفل وتلك المشكلات التي يمكن أن يتعرض لها الطفل ويكتب عنها وكيفية التصرف إزائها وينمي فيه القدرة علي مواجهتها والتغلب عليها. فإذا قرأ الطفل عن كل هذا أو حكي له عنها وصادف تلك المواقف والمشكلات في الواقع ستختفي تلك الهالة من القلق والحيرة والخوف والألم التي تحيط بالمواقف والمشكلات وسيتصرف الطفل إزائها بكل هدوء وحكمة. فكل الصعوبة عند الطفل التي تقابله في مواجهة المشكلات والمواقف أنها جديدة عليه لم يسبق له أن مر بها أو قابلها " فالطفولة ليست كلها صفاء وشمسا مشرقة ولكنها عهد يقابل فيه الطفل مواقف جديدة تتطلب منه أن يتصرف فيها وقد يصحب ذلك شعور بالقلق والحيرة. كما يشعر الكبار عند مقابلتهم للمشكلات المناسبة لهم. وجماح الطفل في التغلب علي الصعوبات يزوده بقدرة علي التغلب علي المواقف الأكثر صعوبة عندما يصادفها في المستقبل شأنه في ذلك شأن الكبار تماما " <sup>١</sup>

#### - الطفل خير من يحدد ما يناسبه:

لا نستطيع أن نكتب بصدق عن شيء إلا إذا عايشنا هذا الشيء واقتربنا منه. والكاتب لأدب الطفل لا يتسنى له الكتابة للطفل إلا إذا كان يعرف الطفل حق المعرفة ويحس به حق الإحساس. ويقدره، ويرى أنه يستحق أن يكتب له بصفة خصوصية ومنفردة ولكن كيف للكاتب أن يعرف ما يناسب الطفل وما لا يناسبه هو الطفل نفسه. وليس أحد غيره. كل ما علي الكاتب أن يراقب الطفل يلاحظه. يشاركه في كل شيء يصادفه يزامله. لا يملي عليه شيء ولا يجبره علي شيء. يسيره

١. مواجعة الطفل للأزمات - هورج مهر - (١٤)

وراءه ولا يتقدمه. فالطفل هو المفتاح الذي نفتح به نفتح عالم الطفولة ونلج إليه ونعرف أسرار هذا العالم الغامض والمجهول بالنسبة لنا نحن الكبار<sup>١</sup> أن المرين والآباء والمدرسين يدعون أن الطفل يجب أن يتبعهم ويسير ورائهم وينهج نهجهم ويخلطو خلطواتهم وفي هذا كل الخطأ وينبغي أن يعكسوا الأمر ويتبعوا الطفل ويسيروا وراءه وعلي طريقتة حتي يستطيع أن ينمو نموا كالملا فللكل حقوق يجب أن تراعي، وهو عضو عامل في مجتمع روحي يجب التفكير فيه، وقد إتفق الجميع علي مراعاة طبيعة الطفل<sup>١</sup>

نصل من هذا إلي أننا يجب أن نحترم أراء ورغبة الطفل كي يحترم هو الآخر إرادتنا ورغبتنا فنحن نصوص له العالم الذي يريده ونحدثه عما يود أن يسمعه ونزبه ما يتمي أن يراه وبذلك ينجح الكاتب في أن يكتب أدبا للطفل، لا ليثبت للكبار أنه جدير بذلك، بل ليمنحه الصغار شهادة تقدير تبرهن أنه إستطاع أن يستحوذ علي أفئدتهم ويستأثر علي مشاعرهم.

مما سبق نكون قد أجمالنا بعض الملامح وليس كلها التي تتميز بها مرحلة الطفولة، وتلك الملامح سيكون لها تأثير كبير في تحديد نوعية الأدب الذي يجب أن يكتب للطفل، فكما أن هناك ملابس معينة يجب أن تصنع للطفل وهناك لعب تصنع له، وطعام خاص يعد له، كذلك يجب أن يكون هناك أدب خاص بالطفل، براعي أن تتجسد فيه كل تلك الملامح التي تتميز بها مرحلة الطفولة.

١. الاتجاهات الحديثة في التربية - محمد عطية الإبراهيمي - (٢٧٧)